الملحق الثقافي

ملحق أسبوعي يصدر كل ثلاثاء عن جريدة الثورة - العدد 1088 2022/3/22

ملف العدد

المسرح في يومه العالمي

أول الكلام

خطابنا الإعلامي وصناعة الوعي

▪ ديب علي حسن

في هذا العالم المجنون المتوثب، بكل شيء يزعزع البنى الفكرية والقدرة على التقاط اللحظة التي تصنع الجمال والهدوء وترسم المستقبل.. تبدو صناعة الوعي من أعقد وأخطر المهام التي يواجهها الإنسان، ولاسيما من يتعرض لحملات التشويه والاعتداء ..تشويه فكري وأخلاقي وتربوي، أو ما يمكن أن نسميه القصف الفكري الذي يزداد كل ساعة وهذا ما نتعرض له في سورية والمنطقة منذ عقود من الزمن .. صناعة الوعي والقدرة على التحليل المنطقي لما يجري، ركائز أساسية في تفكيك الغزو الثقافي الذي نتعرض له، وهذا ما عبر عنه السيد الرئيس بشار الأسد في كلمته أثناء استقبال مجموعة كبيرة من المعلمين بمناسبة عيد المعلم.. الكلمة التي هي منهج عمل ورسم لدروب الفكر التحليلي الذي لا يقبل الجمود ولا اليباس، ولا الانغلاق الذهني مهما كان .. نريد أن نبني الإنسان المتجذر وعياً وانتماء لوطنه..وهذا ما يبدأ من المدرسة ومع الطالب يقول السيد الرئيس بشار الأسد: (نحن اليوم بحاجة لتحليل التاريخ أكثر من الرياضيات نحن بحاجة لإنشاء جيل يواجه التحديات لا يهرب من التحديات عندما تظهر أمامه مشكلة يواجهها، لا يهرب منها ويعيش حالة إنكار بحاجة لجيل مبادر فاعل يبحث عن الحلول لا ينتظرها لكي تأتي من تلقاء نفسها بحاجة لجيل يسعى لتبديل الواقع لا يخضع للإحباطات التي تقوده إلى لا شيء بحاجة لجيل يسيطر على التقنيات الحديثة ووسائل التواصل الاجتماعي ويحولها لخدمته ولفائدته، بدلاً من أن تستنزفه بالوقت وبالطاقة وتجعله شخصاً يعيش حالة من الفراغ.. نريد خريجاً ينتمي للوطن لا يعتبر أن الوطن هو عبارة عن فندق فيه خدمات معينة جيدة، وعندما تنحدر هذه الخدمات ينتقل لفندق آخر).. نعم نحتاج من يحلل معرفياً، لا من يصل إلى مرحلة الآلة الصماء في ظل التقدم الهائل للتقنيات ووسائل التواصل ينعدم التحليل الدقيق وهذا مقتل للفكر...ثمة ضخ هائل للاخبار والحكايا والقصص وابتكار وسائل التضليل ما يجعل المتلقي في حالة غير مستقرة لا يكاد يلتقط أنفاسه حتى تأتيه موجة ثانية وثالثة وهكذا.. نريد التفاعل والاحتراف ولكننا نريدهما مع الوعي الذي يعرف قيمة الوطن وقيمة الهوية والانتماء.. من هنا علينا في الإعلام أن نكون صريحين جداً فنحن خارج صناعة الوعي هذه لقد أخذنا الإعلام إلى مكان آخر..لا ندري هل نلوم أنفسنا نحن كإعلاميين أم نلوم الكثير ممن لهم علاقة بذلك وهم خارج المشهد الإعلامي؟ لم تعد صناعة الوعي ونشره هي الهوية بل ثمة تسارع نحو ضخ أخبار ليست أكثر من حدث يومي عابر بل وعمل عادي يجب أن يكون.. نحتفي بالزائل على حساب الأصيل وبما يثير الدهشة العابرة على حساب مواجهة الزائف ...بل بكل قسوة تحولنا إلى(بوستات) تسعى إلى حصد الإعجابات ممن يريدون أن نكون خارج فعل صناعة الوعي والنقد الحقيقي .. نحن اليوم بأمس الحاجة إلى مراجعة خطابنا الإعلامي الذي هو بالمحصلة نتيجة منطقية لمجموع خطابات مؤسسات الدولة والحكومة.. لقد وضع السيد الرئيس بشار الأسد أسس الخطاب والفعل التربوي وعلينا أن نكون قادرين على العمل وفق هذه الاستراتيجية والخروج من شرنقة ما نحن به.

أبو خليل القباني.. رائد المسرح السوري

المسرح.. الفن الأكثر قرباً من الواقع

تامر العربيد: المسرح بخير..

صفحات من تاريخ الأدب الروسي

تقديراً للإبداع والمبدعين ..زيادة تعويضات التأليف والترجمة

مما لاشك فيه أن سورية وطن الإبداع والمبدعين ترعاهم بكل السبل المتاحة مادياً ومعنوياً وهنا نشير إلى أنه خلال الحرب العدوانية على سورية لم تتوقف مطبوعات وزارة الثقافة ليوم واحد و لا مطبوعات اتحاد الكتاب العرب.

وخلال عقد من الزمن صدر أكثر من ١٣٠٠ عنوان الهيئة العامة للكتاب ناهيك بالدورات الفصلية والشهرية وكذلك الأمر في اتحاد الكتاب العرب.

وتعززت جوائز الدولة التشجيعية والتقديرية وكذلك منح الأوسمة للمبدعين ..يضاف إلى ذلك زيادة تعويضات التأليف والترجمة وهاهي المرة الثانية التي تزاد فقد أصدر رئيس مجلس الوزراء حسين عرنوس قراراً تضمن زيادة تعويضات تعرفة التأليف والترجمة وتحقيق المخطوطات.

وفيما يلي نص القرار:

-المادة /١/: يعدل البند الأول والثاني من المادة الأولى من القرار رقم /٨٧١/ تاريخ ٢٠٢٠/٥/٢١ ليصبحا على النحو التالي:

أولاً: التأليف و #الترجمة من اللغة العربية إلى لغة أجنبية:

ا-الدراسات والبحوث والرواية (٢٧ ليرة سورية للكلمة الواحدة).

ب-المسرح، القصة القصيرة، أدب الأطفال (٣٦ ليرة سورية للكلمة الواحدة).

ج-الشعر (٤٥ ليرة سورية للكلمة الواحدة).

-ثانياً: الترجمة من لغة أجنبية إلى اللغة العربية:

ا-الدراسات والبحوث والرواية (٢١,٦٠ ليرة سورية للكلمة الواحدة).

ب-المسرح، القصة القصيرة، أدب الأطفال (٢٨,٨٠ ليرة للكلمة الواحدة).

ج-الشعر (٣٦ ليرة للكلمة الواحدة).

المادة /٢/: تعدل المادة الثانية من القرار رقم /٨٧١/ تاريخ ٢٠٢٠/٥/٢١ لتصبح على النحو التالي:

يتم تحديد التعويضات في أعمال تحقيق التراث ضمن حد أعلى قدره /١٨٩٠٠/ ليرة للملزمة الواحدة من القطع المتوسط (بما يقارب ٣٠٠٠ كلمة).

إنها سورية القوية المنتصرة الغنية بمبدعيها بمختلف ألوان الإبداع.

احتفاء

مئة عام على رواية عوليس

ثمة أعمال أدبية لايمكن أن تموت، وتبقى إرثاً خالداً ليس للشعب الذي أبدعها، أو لمؤلفها وحده، إنما تغدو مع الزمن أيقونات يحتفي بها العالم، ولكن أيضاً يمكن القول إنه قد تمر فترة من الزمن دون أن تكون قد حققت وجودها لكنها بعد فترة تظهر بهيئة جديدة حين يكتشفها النقاد ويتناولها الباحثون، ومن هذه الأعمال رواية عوليس التي يحتفي العالم بمرور مئة عام على صدورها، وهي رواية للكاتب الأيرلندي جيمس جويس، نشرت للمرة الأولى على حلقات في جريدة «ذا ليتل ريفيو» الأميركية بين شهري مارس ١٩١٨ وديسمبر ١٩٢٠، ثم نشرته سيلفيا بيتش في باريس في كتاب صدر في ٢ شباط ١٩٢٢. تعد من أبرز الأعمال في الأدب الحداثي حتى إنها اعتبرت «نموذجاً وإجمالاً للحركة بأكملها».تسجل الرواية خط سير ليوبولد بلوم داخل مدينة دبلن خلال يوم عادي هو ١٦حزيران ١٩٠٤ (وهو تاريخ اللقاء الأول بين جويس وزوجته فيما بعد . نورا بارناكل

عدد كلماتها رواية «عوليس» نحو ٢٦٥ ألف كلمة، ويستخدم جويس فيها قاموساً يصل إلى ٣٠ ألف مفردة (تشمل أسماء الأعلام وصيغ الجمع ومختلف تصريفات الأفعال)، وتنقسم إلى ١٨ حلقة. ومنذ نشرت الرواية دار حولها الكثير من الجدل والانتقادات، عرف بحروب جويس: وما يجعل الرواية ذات قيمة عالية في تاريخ الأدب الحداثي استخدامها تقنية تيار الوعي، وبنيتها المحكمة، وثراؤها في تجسيد الشخصيات وحس الفكاهة. وقد تصدرت الرواية سنة ١٩٩٨ قائمة أفضل ١٠٠ رواية باللغة الإنجليزية في القرن العشرين.

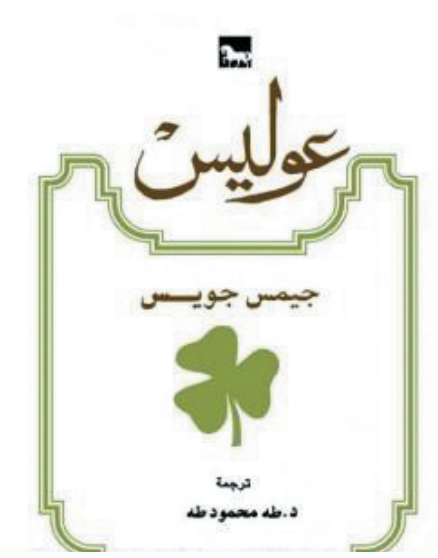

تعتبر عوليس أهم روايات الأدب الأيرلندى الحديث، كما أنها صارت ملمحًا لهوية أيرلندا الثقافية عالميًا، حتى إنه يوجد فى دبلن مسار عوليس، إذ يمكن للمعجبين بالرواية تتبع خطوات بطلها «بلوم» فى جميع أنحاء المدينة، رغم ما تتمتع به من سمعة مخيفة فيما يتعلق بصعوبة قراءتها. لقد جعل جويس من عوليس رواية تحتفى بحياة رجل عادي، يهودي ومسالم، لكن لا يستطيع قراءتها سوى القليل من الأشخاص العاديين، حسب قول الناقد البريطاني جون كاري.

بلوم بطل عوليس هو أوديسيوس المعاصر الذى يُبحرُ في دبلن بدلاً من البحر الأبيض المتوسط. ستيفن نسخة من تلماخيوس، ابن أوديسيوس، بينما مولى هى زوجة أوديسيوس، بينيلوب الوفية. يضم كل فصل من عوليس لمحة تشابه مع فصول الأوديسة.

تتبع الفصول الثلاثة الأولى ستيفن ديدالوس، الأنا الخيالية البديلة لجويس، الذى ظهر فى روايته «صورة الفنان في شبابه» (١٩١٦). لكن معظم الفصول الثمانية عشر تضع القارئ داخل رأس ليوبولد بلوم، بائع الإعلانات.

رُفضَت مخطوطة الرواية كاملة فيما بعد من قِبَل بيليكان برِس، أول ناشر عُرِضَت عليه؛ ثم رفضتها أوفيد برِس، متعللة بأن تكلفة نشرها ستكون باهظة. فى ظل ضائقة مالية ويأس متزايد، لاحتمال أن الكتاب الذى أمضى العقد السابق من حياته في كتابته غير قابل للنشر، قَبِلَ جويس عرضًا من سيلفيا بيتش، صاحبة المكتبة الباريسية شكسبير آند كومباني، لطباعة كتابه بشكلٍ حصري، طبعة «فاخرة» من ١٠٠٠ نسخة، تباع مقابل ٣٥٠ فرنكًا للقطعة الواحدة (ما يعادل نحو ٢٣٤ دولارًا اليوم).

واحدة من أشهر الحكايات المرتبطة بعوليس، والتي حدثت في يوم إطلاقها، حين أراد جويس الاحتفال بوصول الكتاب فدعا بيتش للخروج. وبينما كانا يغادران مسكنه، أشار جويس إلى ابن البواب الصغير، الذى كان يسلي نفسه على الدرج الأمامي للمبنى، قائلًا: «سيصير هذا الصبي قارئًا لعوليس ذات يوم».

رئيس التحرير
أحمد حمادة
مدير التحرير
معد عيسى
أمين التحرير
محمود ديبو
إشراف
ديب علي حسن
الإخـــراج
هدى نصر شمالي

توجه جميع الرسائل
باسم هيئة التحرير
دمشـــق ص.ب ٢٤٤٨
هاتف ٢١٩٣٢٢٢

كتاب العدد
حسب الترتيب الهجائي

آنا الخضر
بيانكا ماضيه
جوان جان
شهناز فاكوش
عمار النعمة
علم عبد اللطيف
غسان ونوس
ياسمين درويش

النص المسرحي السوري توجهات فكرية ورؤى فنية ومحاولات لمقاربة الواقع والأحداث

جوان جان

بين العمل المسرحي في صيغتيه (النص والعرض) ثمة مسافة تُقطَع، يقطعها كاتب مسرحيّ، سلاحه قلم متدفق وفكر متألق، يبدأ مشروعه بعبارة «المشهد الأول» وقد لا ينتهي في يوم ختام العرض المسرحي مع آخر موجة تصفيق من مُشاهد تلقى العمل بكافة عناصره وأدواته من نص وأداء وعناصر عرض بصرية وسمعية، ورؤية إخراجية عميقة، أو هكذا يُفترَض أن تكون .

وضمن هذا السياق من ثنائية العمل على النص والعرض شهدت المسارح السورية في السنوات الأخيرة نماذج مضيئة شكلت نقاط علام في مسيرة مسرحنا، منها ما ارتبط بمناسبة محددة كاحتفالية دمشق عاصمة للثقافة العربية في العام ٢٠٠٨ حيث قدم المعهد العالي للفنون المسرحية حينها تجربة أتت تتويجاً لما سمي «ورشة الشارع للكتابة المسرحية الجديدة» وتضمنت التجربة قراءة عدد من المشاهد المسرحية التي كتبها المتدربون وكلّهم من خريجي قسم الدراسات في المعهد ومن طلابه، وقد تميّزت هذه القراءات بعدة نواح، منها أنها استطاعت أن تلامس قضايا اجتماعية حارّة ومؤرقة ربما لم يسبق أن تم التطرق لبعضها بشكل واسع وكما ينبغي، وهذه ناحية غاية في الإيجابية، إذ إن الكثير من الكتابات المسرحية الحديثة تنحو باتجاه الترميز أو التأثر بمدارس مسرحية متحفية لا يمكن أن تلقى صدى إيجابياً عند جمهورنا، في الوقت الذي انفضّ فيه من بقي يكتب للمسرح عن طرح المواضيع الاجتماعية الحساسة، مستعيضاً عن ذلك بطروحات بعيدة عنا شكلاً ومضموناً.. وتميزت القراءات هذه أيضاً بعدم وقوعها في مطب السرد الحيادي، فقد كان لإلقاء الممثلين المعبّر الأثر الأبرز في الانطباع الإيجابي الذي تركته التجربة عند الجمهور إلى درجة أن بعض الممثلين اندمج في تجسيده للشخصيات حتى وصل بهم الأمر إلى البكاء، بينما استغرق آخرون في أداء زملائهم ونسوا أدوارهم في القراءة ما دفع الجمهور إلى التصفيق تقديراً منه لهذه الحساسية العالية من الأداء للنصوص الشابة.. والواقع أن قضية النص المسرحي السوري شغلت المسرحيين السوريين على مدى سنوات طويلة من حيث الدراسة والبحث والتقييم ورصد ردود أفعال جمهور المسرح على هذا النص بمختلف توجهاته الفكرية ورؤاه الفنية، وقد كان للنص المسرحي السوري حضوره اللافت في المنعطفات التاريخية والمفصلية التي مرت بها سورية، ولا بدّ أن المتابع لحركة تطور النص المسرحي السوري يذكر الدور الذي قام به هذا النص في فترة الاستعمار الفرنسي عندما تحول الكتّاب المسرحيون السوريون في تلك المرحلة إلى كتّاب مقاومين من خلال مجموعة من النصوص المسرحية التي انتقدوا من خلالها الاستعمار عبر العودة بمضامين هذه النصوص إلى فترات غابرة من التاريخ العربي، مستحضرين الشخصيات التاريخية ذات البعد البطولي بهدف شحذ عزيمة الشباب الثائرين في وجه الاستعمار، لتلي ذلك مرحلة بثّ الوعي الاجتماعي وهي المرحلة التي امتازت بها نصوص الخمسينيات والستينيات، لتأتي صدمة هزيمة العام ١٩٦٧ وليتحول بعدها الكتّاب المسرحيون السوريون إلى كتّاب ناقدين للهزيمة ومسلطين الضوء على أسبابها وصولاً إلى حرب تشرين عام ١٩٧٣ التي رصدها المسرح السوري عبر مجموعة من الأعمال وإن كانت قليلة فإن أثرها كان واضحاً وبالتحديد في العامين ١٩٧٤ و١٩٧٥ .

اليوم يبدو النص المسرحي السوري مأخوذاً بالاهتمام بتفاصيل ونتائج عشر سنوات من الحرب على سورية، ويمكن القول :إن المسرح السوري، والنص المسرحي السوري تحديداً تعامل بثلاثة أساليب مع الواقع في السنوات الأخيرة، إذ فضّلت أعمال أن تتناول موضوعة الحرب وتأثيراتها ومفاعيلها بشكل مباشر، وقد حاولت هذه الأعمال أن تحيط بموضوعة الحرب من كلّ جوانبها الاجتماعية والاقتصادية والمعنوية، لكن بعضها وقع في مطب المباشرة والخطاب الشعاراتي، أو أنه قدم رؤى ناقصة وغير مكتملة، وبالتالي غير قادرة على تقديم رؤية واقعية وموضوعية لما جرى على أرض الواقع، بينما راح كتّاب مسرحيون آخرون باتجاه تجسيد الحالة السورية بأسلوب غير مباشر عن طريق الترميز والإسقاط، وهي طرق قديمة استخدمها المسرحيون السوريون منذ سنوات طويلة تمتد لمرحلة النص المسرحي الذي كتبه رائد المسرح السوري أبو خليل القباني، وهذا الأسلوب يتيح للمسرحيين أن يعبّروا عن رؤاهم ووجهات نظرهم بإحساس أكبر بالارتياح، وخاصة عندما تطل موضوعة الحرب في هذه الأعمال بشكل شفاف وكخلفية للحدث الاجتماعي لا كمحرك له كما في مسرحية «تماس» للمخرج محمد سمير طحان والتي قدّمها المسرح التجريبي قبل أيام، وأما الفئة الثالثة فقد آثرت الابتعاد تماماً عن موضوعة الحرب إيماناً منها بأن المسرح ينبغي أن يظل بعيداً ومتسامياً ومتجنباً طرح مواضيع المعاناة متعددة الأشكال .

في السنوات العشر ظهرت عدة محاولات مسرحية على صعيد النص المسرحي لمقاربة موضوعة الحرب على سورية لكن معظمها وقع في تناقضات فكرية عميقة أبرزها تصوير الصراع على أساس أنه صراع بين وجهتَي نظر تمتلك كلّ منهما مبرراتها وأسباب وجودها، كما وقع بعض كتّاب النصوص في إشكالية اتخاذهم مواقف حيادية في أعمالهم وتعاملهم مع الشخصيات التي تمثل أطراف الصراع المفترض بشكل متساوٍ متجاهلين أن المسألة أعمق بكثير من كونها صراعاً ساذجاً بين طرفين.. وقد وصل الأمر ببعض النصوص إلى التركيز على طرف ثالث اعتبروه ضحية لنزاع بين طرفين يتحملان مسؤولية مشتركة .

إن معظم العروض المسرحية التي تألقت في السنوات الأخيرة اعتمدت على نصوص لكتّاب سوريين ينتمون إلى مختلف أجيال الكتابة المسرحية، لكن المشكلة تكمن في أن النصوص المسرحية التي ظهرت في السبعينيات قد تم تسليط الضوء عليها بشكل واسع ووضعها في مختبرات النقد والتحليل والدراسة خلافاً لما هو عليه الأمر الآن، إذ تضيع معظم الأعمال المسرحية في زحمة الدفق الإعلامي متعدد الوسائل والذي لا يدع مجالاً لأي عمل إبداعي لأن يأخذ حقه من الرصد والمتابعة .

ومع كلّ مناسبة أو فعّالية مسرحية تعود معضلة النص المسرحي المحلي لتطل برأسها، مجددة الحوار حول واقع النص المسرحي في سورية ومستقبله .

ولا يبدو النص المسرحي السوري اليوم منعزلاً عن المشاغل العامة للناس وهواجسهم، وهو وإن حاول الابتعاد عن هذه الهواجس والمشاغل باتجاه قضايا إنسانية أكثر شمولاً وأوسع أفقاً إلا أنه سرعان ما يعود إلى واقع الإنسان السوري ليرصد مآلاته وتفاصيل أيامه .

وفي محاولة من كتّاب مسرحنا الشباب لجسر الهوة بينهم وبين الفعالية المسرحية انخرطوا في مختبرات مسرحية مع الفرق والتجمعات التي ترغب بتجديد أساليب تواصلها مع الجمهور فأصبح الكاتب المسرحي أكثر انخراطاً في اللعبة المسرحية بعد أن كان شبه منعزل عنها، وهذه العزلة دفعت الكثيرين من مخرجينا إلى الانفضاض عن النص المسرحي المحلي الذي رأوا فيه مادة للقراءة أكثر من كونه مادة للتجسيد على خشبة المسرح .

وتُعتَبر المسابقات والجوائز عاملاً حاسماً وفعالاً في تشجيع الكتابة المسرحية عند الكتّاب الشباب والهواة، ومن أجل ذلك أطلقت مديرية المسارح والموسيقا في العام الماضي مسابقة النص المسرحي السوري الشاب، كما أن إحياء المهرجانات المسرحية الشبابية كمهرجانات الجامعة والشبيبة والعمال من شأنه الدفع بعملية الكتابة المسرحية، خاصة وأن معظم المخرجين المشاركين في هذه المهرجانات يفضلون النصوص المسرحية المحلية.

على المسرح اليوم أن يكون قادراً على المساهمة في الارتقاء بالذائقة العامة التي تضررت كثيراً نتيجة الظروف التي مرّ بها الوطن، كما أن عليه أن يلعب دوراً تنويرياً وسط أمواج الجهل التي تضرب في كلّ مكان .

المسرح.. الفن الأكثر قرباً من الواقع

لقاءات - آنا خضر

الاحتفاء بيوم المسرح العالمي يثير شجون مبدعيه وعشاقه بنفس الوقت، وهو أبو الفنون، حيث يرونه الفن الأكثر راهنية وقرباً من الواقع بحكم طبيعته وعراقته ...ويرون أنه من الضرورة بمكان أن يحتفظ بحضوره ومكانته مستمراً في مهامه ورسائله العظيمة، حيث لايمكن لأي وسيلة ثقافية أخرى أن توازيه..من هنا يستمر القلق عليه للحفاظ على المعطيات والشروط الكفيلة على إبقائه حاضراً ناهضاً معافى. هنا آراء لعديد من أصحاب تجارب طويلة في عالم المسرح فماذا يقولون...؟

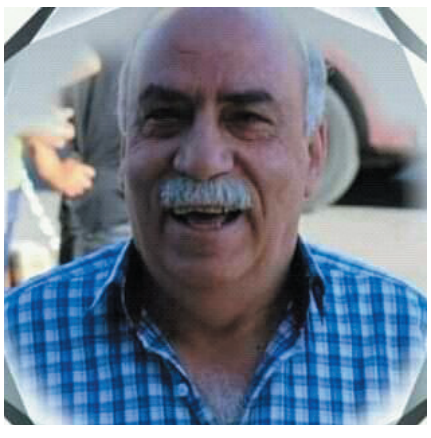

علي عبد النبي الزيدي.. كاتب مسرحي من العراق
المسرح ما بعد كورونا

عاشَ المسرح عمرهُ الطويل وسط كبرى المشكلات والأزمات، وخرجت العديد من التيارات المسرحية المهمة من معطف الحربين العالميتين الأولى والثانية، وظلّ -المسرح- يثير الأسئلة التي لا حدود لصراخها المحتدم، لا تهمه الإجابات الجاهزة والساذجة على الإطلاق، بل راح يحفر باحثاً عن أمكنة بكر ليناقش قضايا الهمّ والحلم الإنساني وإشكاليّة الوجود وأسئلة الحياة والموت معاً..

وهكذا يأتي يوم المسرح العالمي هذا العام ٢٠٢٢ وهو ما زال يعيش سؤالاً كونياً جديداً يهدد وجود الإنسان من خلال عدو مجهول يُثير الفزع والقلق في قلوب مختلف الناس اسمه كورونا، ولكن المسرح كعادته ينظر من زاويةٍ أخرى تماماً ولا يَحفل بالشعاراتِ وزوايا النظر المستهلكة ونظريات المؤامرات وصيحات الهلع واليأس عند بعض النخبِ المثقفة، المسرح كما أراه ما بعد كورونا.. هو مسرح (نصوص المدينة الفاسدة) تلك المدينة التي هدّمت وسرقت وانتهكت الإنسان وجعلته مقموعاً يبحث عن ظلّ يختبئ فيه، ومستلباً بفعل الخوف الذي صنعته الكولونياليّة بشكلها الحديث التي جعلت من المافيات على شكل أحزاب تتقلد الحكم وتتحكم بمصائر البشر وتسرق خيرات الشعوب وسيظهر في عمق نصوصنا المسرحية القادمة.. الأسئلة الكبرى حول ضعف وعجز ترسانات الأسلحة بشتى تسمياتها والتي أرعبت العالم لمئة

عام وأكثر، وزرعت الخوف في المدن الفقيرة والأحياء البسيطة والضيعات البعيدة عن المدن.. لتزداد أسئلة المسرح الذي أراه ومنذ زمن بعيد بكونه وثيقة إبداعية تحكي للأجيال القادمة قصص الشعوب المهددة بالانقراض وتشير إلى أطنان الصواريخ والقنابل والرصاص الذي يجتاح المدن الآمنة بسبب أمراض السلطات.. إنها أسئلة المسرح التي لا تنتهي مع عالم مأزوم على طول خط حياته...

محمد خير الكيلاني ممثل مسرحي
أيام المسرح كثيرة

ماذا عن يوم المسرح العالمي.. وكيف يراه الفنان محمد خير الكيلاني ؟

أيام المسرح صارت كثيرة، فهناك يوم المسرح العربي، وهناك مهرجانات المسرح الخاصة والعامة، ولكن يبقى يوم المسرح العالمي في ٢٧ آذار هو العلامة الفارقة لاحتفال المسرحيين جميعاً أجانب وعرب لإلقاء الكلمة في هذا اليوم، وكان نصيب المسرحيين الأجانب كبيراً في إلقاء كلمته بعكس المسرحيين العرب الذين ألقوا هذه الكلمة وبصراحة نحن المسرحيين السوريين قد نكون انتبهنا لهذا اليوم عندما ألقى المرحوم سعد الله ونوس هذه الكلمة والطريف أن كلمته ذهبت مثلاً نحن محكومون بالأمل وصارت مقياساً لحياة مسرحية أو عامة لا أمل فيها، ولذلك صار انتباهنا مركزاً للاحتفال بهذا اليوم وبمن يلقي كلمته، حيث يتناولها المسرحيون في هذا اليوم، ويكلفون مسرحياً خبيراً صاحب باع طويل في المسرح ممثلاً أومخرجاً أو ناقداً، وهذا الاختيار والتكليف أحياناً يتناسى بعض المسرحيين الذين قضوا حياتهم على خشبات المسرح لمجرد الخلاف بوجهات النظر مع من بيده قرار هذا التكليف، وطموحي في هذا اليوم الذي بات عيداً للمسرحيين يتبادلون فيه التحيات والتهاني أن نتجاوز نقطة الخلاف وخاصة من المخرجين الشباب الذين لايقبلون نقد أعمالهم، ويظنون أنهم قد امتلكوا كل الأدوات المسرحية، وهم بالأصل يحتاجون لمسيرة مسرحية طويلة حتى يملكوا أسرار الإخراج أو التمثيل المسرحي لأن الخلاف بوجهات النظر هو الصحيح حتى نعرف أو نسمع الرأي الآخر، ومن يتابع الكلمات التي يكتبها المسرحيون لهذا اليوم تعبر عن مسرح صاحبها في بلاده ثقافته مسرحياته مخرجينه وممثلينه وآلامهم وطموحاتهم، وقد لا توافق هذا الكلمة رؤى مسرحيين آخرين في بلادهم لذلك كانت هيئة المسرح المكلفه الاختيار تترك لملقي الكلمة أن يحكي هموم مسرح

بلده وما يعانيه من صعوبات وضغوط حياتية وسياسية وفنية وثقافية

الفنان محمد تلاوي:مخرج مسرحي شخص الحال بقوله

نحن كممثلين ومخرجين دائمي الاحتفال بالمسرح ما دمنا نعمل بإبداع، وننهل من الفن المسرحي بكل مكوناته ابتداء من النص المسرحي ودراسته إلى التدريب والتحضير حتى العرض، نحن بحالة احتفال لم يكن المسرح يوماً عبارة عن مقالات خشبية، فالمسرح دائم التجدد والعطاء، والمسرحي ميداني ديناميكي دائم البحث عن نص من هنا وهناك، وأحياناً يكون مؤلفاً ليرتقى بالمسرح بجميع مناحي الحياة بين الخيال والحقيقة ليبدع ويرسم أفقاً فيها من الجمال ما فيها ويسمو بها، فالننظر منذ نشأة المسرح حتى الآن ورغم كل الأزمات حتى كل الحضارات التي مرت على البشرية المسرح يواكبها ويعاصرها وأحياناً يسبق عصرها زماناً ومكاناً .. كل عام ومسرحيو العالم بألف خير، فالمسرح لا ينطفئ ودائماً أقول تعلمنا من المسرح ألا ننطفئ وأن نضيء بإبداعنا العالم رغم كل الظروف.

طلال لبابيدي مخرج مسرحي وممثل خصوصية هذا اليوم

يرى الفنان طلال لبابيدي بكلمات مختصرة: أن يوم المسرح العالمي هو مناسبة (أبو الفنون) وتاريخه ودوره خصوصاً في هذا الوقت الذي طغى فيه الأنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي والسوشال ميديا كوسيلة لتذوق الفنون عوضاً عن الذهاب للسينما أو المسرح.

أتمنى طبعاً أن يعود للمسرح السوري ألقه وأن تعود النشاطات بنفس الكم والنوع الذي اعتدنا عليه قبل فترة الحرب العدوانية على سورية وكورونا.. وأقول كل عام وجميع المسرحيين بألف خير.

الفنان محمد المحاميد كاتب ومخرج مسرحي أعطيني مسرحاً أعطيك أمة....

هي من أشهر ما قيل في المسرح

أعطيني خبزاً و مسرحاً... أعطيك شعباً مثقّفاً...

رغم أنّ الأولى أشهر، لكن بإمكان اعتبار الثّانية نسخة أخرى تؤدّي ما عنته الأولى.

.إن لدى الناس منذ الطفولة غريزة التشخيص ومن هذه الناحية يختلف الإنسان عن الحيوانات الأخرى في أنه أكثر قدره على المحاكاة وأنه يتعلم دروسه عن طريق تشخيص الأشياء ثم تبقى المتعة التي يجدها الناس دائماً بالتشخيص.

إن للانسان غريزة التمثيل منذ الصغر إن المتعة واللذة التي نحصل عليها من هذه العملية هي تحول الحياة إلى مسرح من هنا ينبع المسرح... من أصل الإنسان... من رغبته الفطريّة في التّجسيد... من خياله الواسع الذي هو أصل الحياة.... من الحياة نفسها...

فهو تجسيد لواقع يتّخذ شكل مسرح كبير...على حدّ تعبير شكسبير الذي قال : الدنيا مسرح كبير، وأن كلّ الرجال والنساء ما هم إلا لاعبون على هذا المسرح

و هكذا احتلّ المسرح نقطة البداية ... لا في تحريك و تطوير الثقافة الشعبية فقط.... بل هو مصدر الشرارة التي تلهم الإنسان العطاء... و تدفعه نحو الرقيّ الفكري....فكان جامعاً ... و لُقّب ب «أبي الفنون».

والمسرح فن شاق و متعب يتطلب الكثير من الصمود والالتزام، المسرح ارهاق و شوق وتجارب مضنية في قرن. أشياء كثيرة حصلت و تحصل.

تخريب كبير اختلط الحق بالباطل و الصادق بالسفيه والمجرم بالضحية نعيش اليوم مجتمعا نشازاً متنافراً متقاطعاً فهل با ستطاعة المسرح وحده أن يعيد إليه تناغمه تناغمنا من أن يستمد قوته و صموده لمقاومة المد الجارف لترويض العقول و شحن الغرائز أمام تشييء الأشياء و تعهير الآخر وتقزيم الاختلاف.

يبقى المسرح ملجأ و ملاذاً لتبادل الأفكار و إحياء القيم الخلّاقة و تبادل الخبرات الإنسانية المحضة و سواء اتخذ ذلك الشكل السياسي أو الساخر أو الاجتماعي فانه دائماً و على مرّ العصور مساحة لإعمال الرأي و إعطاء المتفرج حرية القرار و الاستقراء وحرية الاستمتاع و التبادل و التساؤل،المسرح موطن الروح النقدية و الحرية و الطرافة،

و ان روح المسرح تكمن في إحياء الذاكرة الخلاقة و استنفار روح اليقظة لدى المتفرج دون أن تسلب عقله و وجدانه كما تفعل وسائل الاتصال الأخرى .

و اليوم و أكثر من أي وقت مضى تبدو القطيعة ضرورية بين الفنون الجماهيرية و المسرح النخبوي الجماهيري فالمسرح الفني هو مسرح لا يساوم و لا يقايض و لا يراهن على غباء المتفرج أو سذاجته أنه الشكل الحديث المعاصر للمشاركة الفعلية في المجتمع لكي يعيد للانسانية إنسانيتها و استعادة الثقة في قدرة تغيير الكون بعيداً عن النماذج المستهلكة.

لذلك في يوم المسرح العالمي ادعوا بإلحاح كلّ العالم أن يذهبوا للمسرح.

وتر الكلام

هل خرج من المنافسة...؟!

سعاد زاهر

تغير حاله، وبات حتى المشتغلين فيه يتعاملون معه بوصفه منتجاً ثقافياً قابلاً للتصفية في أي لحظة، كأنه غير قادر على مجاراة معطيات السوق الفنية، التي نجحت بها الدراما عبر منصاتها، والسينما عبر ترينداتها وحواراتها التلفزيونية ..

ربما بات بإمكان متابعي المسرح كتابة مؤلفات عن مشكلاته وغياب مبدعيه وطرق إحيائه، وحل مشكلاته، وكلمات يومه العالمي غالبا ما تأتي محملة بكل المعاني لجماليات تمكن المسرح عبر العصور من تقديمها لنا بكل ما يشع فكراً ووعياً ونوراً لا ينتهي حتى يومنا هذا...

وماذا بعد...؟

كلما تحدثنا عنه في المناسبات المحدودة التي يمكن لنا أن نحيك جملاً تساير واقعاً مسرحياً مظلماً، انتبهنا إلى مقدار التقصير الذي لا عودة عنه وخاصة مع بدائل براقة لا تفارق أيادينا..

هل يعود إلى المنافسة سوى في أيامه العالمية بعدها يخرج بكل كبرياء يفارقه يوماً...

أزمات المسرح ليست وليدة اليوم، طوال عقود وهو يعاني ولكنه في بعض الأحيان كان يتمكن من انتشال محبيه والشغوفين به من مآزقه، إلا أن المعطيات الحالية حيث كل شيء يأتي إلينا في منازلنا، نبتكر طرقاً شتى للتعلق بتسطيح ثقافي رغم كل انعكاساته على وعينا وسلوكنا وحياتنا، ورغم كل الخراب الذي يزجنا فيه، لايزال انتشاره أبعد وأعمق من أي نهج مسرحي يحاول عشاق المسرح فرضه على الأجواء الثقافية سواء من خلال مهرجانات موسمية، ...والدفع الرسمي أو الخاص نحو بعض الأعمال...

كلها مبادرات تنعشه وقتياً، ولكن أوكسجينه الدائم الذي يحييه أبداً...مفقود حيث لا استراتيجيات ولا توطين دائم لدى الجمهور...

إن لم تتعاون مختلف الجهات أياً كانت تسميتها على دمج المسرح بقوة في عالم معاصر كل ما فيه مهمش سوى رنين المال، فسبق نستدعيه في أيامه كي نتباكى بحنين لا يشعر به أحد...!

تامرالعربيد: المسرح بخير.. ولدينا مواهب ومخرجون وكتّاب يؤمنون برسالته

عمار النعمة

لم يكن المسرح السوري يوماً خارج رحم الحياة ففي مسيرته المليئة بالإنجازات والشخصيات التي نعتز ونكبر بها حتى اللحظة تستوقفك المحطات الأجمل والأصدق وترى أنها هي المحطات التي احتفت بالإنسان والواقع بكلّ ما يحمل من آلام وأفراح وآمال .

اليوم يحتفي السوريون كما العالم بالمسرح أبي الفنون وأقدمها وأعرقها، لأنهم وحدهم يعرفون كيف يرسمون للإبداع خطوطه ومجراه، نحتفي باليوم العالمي للمسرح لنقول :إننا أبناء سعدالله ونوس وفواز الساجر ومحمد الماغوط ودريد لحام الذين سنكمل المسيرة من بعدهم لنسمو بها .. كيف لا .. وسورية هي الماضي الذي زها بالفنون والحضارات والإنسانية وهي الغد الذي يطل على العالم بروعة العطاء.

ملحق الثورة الثقافي التقى د.تامر العربيد عميد المعهد العالي للفنون المسرحية للحديث عن المسرح في يومه فأكد أن المسرح لم يكن يوماً من الأيام فناً مرتاحاً فهو يعكس الواقع والمعاناة بشكل حقيقي، وبالتأكيد إذا مرّ ببعض الانتكاسات أو المنغصات أو المعاناة فهذه حالة عامة في العالم، مشيراً أن المسرح السوري موجود وأكبر دليل على الاستمرار أنه في أقسى ظروف الحرب العدوانية على سورية كان حاضراً من خلال عروض مديرية المسارح والمهرجانات وعروض المعهد العالي للفنون المسرحية واستمرار المعهد بتخريج الكوادر والمواهب باختصاصات مختلفة .

وقال: أوجه التحية لكلّ المسرحيين في سورية بشكل خاص والعرب بشكل عام ، فهذا اليوم هو خاص ومميز، لأن المسرح فن خاص .. هناك من يدعي أن هناك أفولاً للمسرح ، وأنا أرى عكس ذلك فهناك عودة لهذا الفن ورغبة حقيقية خاصة عند جيل الشباب الموهوبين والمحبين لهذه الخشبة التي تلبّي طموحاتهم ورغباتهم وثقافتهم .. والمعهد العالي من خلال كوادره يؤكد هذا الشيء من خلال النشاطات التي يواظب عليها كي يبقى هذا الفن حاضراً مجتمعياً وإنسانياً ويغني المشهد الثقافي ... ولكي نكرّس ونؤكد ما نؤمن فيه بأن المسرح هو الحياة وأنه يعكس الذائقة الفنية والثقافية والجمالية للمجتمع السوري .

وأضاف عميد المعهد العالي للفنون المسرحية: المعهد مؤسسة

إبداعية لها تاريخها فهناك سنوات من الإبداع والعمل الأكاديمي والشاهد هو الخريجين الحاضرين على الساحة الفنية داخل سورية وخارجها وأساتذتهم المتميزين بالإضافة إلى تنوع أقسامه التي بدأها بقسمين واليوم أصبحوا خمسة أقسام : التمثيل - الدراسات المسرحية - الرقص المسرحي - الفنون الصوتية والضوئية - والسينوغرافيا .

هذا التنوع والإصرار وإغناء البرامج وتطوير المناهج والعمل الأكاديمي هدف أساسي بالنسبة لنا بالإضافة إلى الفعّاليات التي يقوم بها المعهد مع بداية العام الدراسي والعروض الجزئية وصولاً إلى يوم المسرح العالمي الذي سنحتفل به وسنقدم من خلاله تظاهرة ثقافية على مدى يومين حيث سيقدم فعاليات متنوعة تبرز المستوى الأكاديمي للمعهد بأقسامه الخمسة وعروض مسرحية وعرض خاص لليوم العالمي للمسرح وإزاحة الستار عن لوحة بانورامية ومشاركة قسم الرقص بلوحات جميلة .. لنؤكد أن المسرح السوري رقم صعب وأننا قادرون على الحضور والعطاء في الداخل والخارج من خلال المهرجانات العربية وغيرها ..

مشروع إبداعي

وحول ملتقى الإبداع الذي يقيمه المعهد العالي والهدف منه قال العربيد: بدأ ملتقى الإبداع في موسمه الأول في العام ٢٠١٥ - ٢٠١٦ عندما استضاف أسماء كبيرة مثل دريد لحام وأيمن زيدان والأب الياس زحلاوي وثراء دبسي ...الخ واليوم نحن نتابع الموسم الثاني حيث الانطلاقة كانت مع الفنانة الكبيرة منى واصف السنديانة السورية والنجم غسان مسعود وأخيراً مع النجم تيم الحسن خريج المعهد مشيراً أن ملتقى الإبداع مشروعاً إبداعياً أكاديمياً حوارياً ضمن المنهج الأكاديمي والعملية التعليمية في المعهد ليست الغاية منه اللقاء مع الفنان وإنما البحث عن صاحب التجربة والعراقة في الفن وخلق الحوار والتلاقح مابين الضيف والطلاب والشفافية في طرح الأسئلة الأمر الذي سيساعد الطلاب بتحديد مساراتهم وتطوير ذهنيتهم .. وخلق حالة القدوة لديهم والمقصود بالقدوة تجارب النجوم التي تقدّم دروساً مهمة وخبرة عمرها سنوات ..

المعهد سيستمر ليؤكد مشروع المؤسسة الإبداعية وهناك فعّالية أخرى أسمها :(عروض في الذاكرة) قدّمها المعهد على مسرح سعدالله ونوس مصوّرة على شاشة كبيرة لتكون أيضاً دروساً يتعلم منها الطلاب تُغني تجربتهم الفكرية والمعرفية ورافعة مهمة للمنهج التعليمي في المعهد .

تعاون مستمر

مجال التنسيق مع مديرية المسارح موجود ومستمر فنحن جزء من المشهد الثقافي ومن إستراتيجية وزارة الثقافة التي تسعى دائماً إلى التنسيق والدعم والتشبيك في ما بيننا لتخريج طلاب أكاديميين ووضعهم في سوق العمل، فمهمتنا الأساسية في المعهد تنتهي بتخريج الطالب ولكننا نحاول أن نفسح الفرصة للشأن الإبداعي والمسرحي من خلال دعوات

الأساتذة لرؤية هؤلاء الشباب والمواهب ودعمهم بالطرق الممكنة بما يخدم هؤلاء الطلاب.

وفي الختام وجه د.تامر العربيد في يوم المسرح العالمي التحية للمسرح الفن الخاص والصادق، وللمسرحيين وعشاق المسرح ... قائلاً للطلاب:

هذا الشغف الذي تمتلكونه يجب أن يميز أداءكم ويجعلكم متمسكين بالقيم وأخلاقيات المهنة وأدعوكم لحب الاكتشاف والمثابرة بالعمل كي تكونوا مختلفين ومتميزين وبالتالي نجوماً حقيقيين يشار لكم بالبنان ، فمن يعمل في هذا المجال هو أشبه بأخلاق الفرسان لأن الفنان الحقيقي يحمل رسالة سامية ودوراً تنويرياً .

المسرح بخير إذا كنا نؤمن به ، لدينا مواهب متعددة ومخرجون وكتّاب يؤمنون بهذا الفن ورسالته ... وكلّ عام ومسرحنا وعشاق المسرح بألف خير .

أبو خليل القباني.. رائد المسرح السوري

كان القباني، المولود ١٨٥٢، نموذجاً للانفتاح الفكري والعقلاني على الثقافات التي تفتح نافذة جديدة على المستقبل، وفق قناعته الراسخة التي سببت له الكثير من المشكلات التي واجهها بروح التصميم، فكان له أن أطلق المسرح، هذا الفني الجميل والعظيم، في سورية بريادة محسوبة له في إدخال الفن الغنائي كعنصر مكون حتى أطلق عليه الكاتب عادل أبو شنب « المؤسس الأول لما عرف بالمدرسة الشامية التي اعتمدت على دمج التمثيل بالغناء بالرقص «..

مسرح القباني استمر في دمشق لمدة سنة وتسعة أشهر، وفق أبي شنب، بين عامي « ١٨٨٢و١٨٨٤ « قدم خلالها الكثير من العروض المسرحية التي تراوحت بين أعمال مترجمة وأعمال ألفها بنفسه مستلهماً التراث الفكري والثقافي للحضارة العربية الإسلامية مدخلاً الغناء والرقص كعناصر أساسية في عمله..

لكن المزاج الشعبي آنذاك وجد في أعماله تخريباً للذوق السائد واعتداء على الأخلاق، في تلك المرحلة، رغم رقي مسرحه لكن أخذوا عليه ما ردده الأولاد المدفوعون لذلك ليكون القشة التي قصمت ظهر الفن الناشىء ..ومنها نقتطف:

أبو خليل القباني
يا مزيف البنات
أرجع لكارك أحسن لك
أرجع لكارك نشواتي
أبو خليل القباني
يا مرقص الصبيان
أرجع لكارك أحسن لك
أبو خليل القباني

بعد ذلك أغلق المسرح وانتقل لمصر حيث قدم فنه، ولقي نجاحاً كبيراً لكن الحساد لاحقوه فعاد لدمشق ولم يتحمل طويلاً ليعود لمصر مجدداً من أجل فنه.. ما سبق مجرد سطور من رواية حياة مليئة بعطاء فكري وفني كان له أن يشهد ظهور المسرح السوري على يدي هذا المبدع الذي جمع بين عدة فنون..

احتفاليات وعروض مسرحية

احتفاليات وعروض مسرحية متعددة تقيمها مديرية المسارح والموسيقا عبر فروعها في العديد من المحافظات السورية احتفاء بيوم المسرح العالمي الذي يصادف في السابع والعشرين من الشهر الجاري..

ففي دمشق تقام احتفالية كبيرة في مسرح الحمراء من فكرة وإخراج سهير برهوم وإعداد يوسف شرقاوي.. وهي عرض خاص بالمناسبة يتم خلاله إلقاء الضوء على تاريخ العرض المسرحي منذ البدايات مع الإغريق واسخيلوس ثم ينتقل إلى شكسبير وابسن وموليير وتشيخوف، ثم بدايات المسرح في سورية مع القباني وبعده رواد المسرح السوري سعد الله ونوس وممدوح عدوان ومحمد الماغوط..

يشارك في التمثيل: علي قاسم، روجينا رحمون، زهير البقاعي، سليمان رزق، رباب مرهج، سليمان قطان، عبير بيطار، فراس سلوم، يحيى دراوشة..وفرقة الرقص المكونة من طالبات وطلاب المعهد العالي للفنون المسرحية.

وفي السويداء يقدّم عرض» وصيفنا « من إخراج فراس حاتم لمدة ستة أيام...كما تقام احتفالية يتم خلالها تكريم علاء العقباني، وجيه قيسية، حمد الحسنية.

وفي حماة ثلاثة عروض راقصة « نتالي « لفرقة أوركيديا، « الأرملة « تأليف داريفو واخراج فادي ياسين، « الشيطان « اخراج صخر كلثوم، و « صدفة « لكاميليا بطرس.

الحسكة تحتضن احتفالية بعنوان :» تحية للقباني « اخراج اسماعيل خلف وتقدم يوم ٢٧آذار، وفي القامشلي يقدم عرض « مكاشفة « من إخراج عبد الله الزاهد..

وتقام في حمص عدة عروض مسرحية:» حمام روماني « لفرقة إشبيليا، « الغنمة « إخراج زين الطيار، « قلب العاشق» لزيناتي قدسية، « فيروزيات « لفرقة المسرح الجامعي.. و « نور العيون « لنزار خضور، « نهاية اللعبة « لجواد عقلة والعرضان الأخيران لنقابة الفنون بحمص.

في اللاذقية تقدّم سكتشات مسرحية من إخراج كمال قرحالي لثلاثة أيام بدءاً من ٢٧ الجاري..

وفي طرطوس « نهاية ورشة عمل» لغيث حسن..

زاوية حادة..

أجيال مسرحية

غسان شمه

إذا كان أبو خليل القباني رائداً ومؤسساً للمسرح السوري، أواخر القرن التاسع عشر، حين افتتح أول مسرح في دمشق وقدم فيه ما هو جديد على أبناء هذه المدينة العريقة، التي عرفت ظواهر مسرحية كالحكواتي وخيال الظل، فإن أجيالاً من المسرحيين توالت على تأسيس جديد ومتجدد لهذا الفن الذي يتسم بقدرته على الحوار المباشر مع الجمهورالذي أقبل عليه بشكل كبير، في مراحل مختلفة، شهدت أطواراً متنوعة من العمل المسرحي المتنوع على مستوى الشكل والمضمون..

وقد شهدت خمسينيات القرن الماضي العديد من التجارب وتأسيس الكثير من الفرق المسرحية في مختلف المحافظات السورية ومن ثم تشكل المسرح القومي أواخر الخمسينيات، وكذلك ظهر العديد من الكتاب الجدد الذين شكل البعض منهم قيمة مضافة للكتابة المسرحية على المستوى الفكري والتجريب الشكلاني كسعد الله ونوس وممدوح عدوان وغيرهم حيث شهدت الستينيات والسبعينيات أعمالاً مسرحية لاقت صدى وأثارت الكثير من الحوارات والجدل الفني والفكري.

وتواصلت هذه الحركة الحيوية بعد ذلك لا سيما في التسعينيات مع تجارب جديدة ووجوه شابة كان لها رؤيتها وفكرها في العمل المسرحي مستفيدين من تجارب وأعمال مسرحية أجنبية ومحلية شكلت زاداً واسعاً لمن خاض غمار هذا الفن الصعب والجميل في مختلف المحافظات السورية التي شهد العديد منها مهرجانات متنوعة قدمت تجارب يعتد بها..

وفي هذه الأيام يتجدد الاحتفال بأبي الفنون الذي شهدت الثقافة الفنية والفكرية الإنسانية في كثير من مناطق العالم هذا الفن سواء عبر ظواهره وطقوسه أو بشكله الذي ظهره به دلالة على عمق حضوره في حياة الكثير من الأمم.

اللاشعر.. في زمن الشعر

هل هو زمن الشعر أم زمن الرواية التي أصبحت فيما بعد ديوان العرب كما تنبأ حنا مينة ؟ بين السؤال والإجابة مسافة لابد من عبورها حتى نتلقى بعض الإجابات التي لايمكن أن تكون جازمة وحاسمة، بالتأكيد هو الآن زمن الشعر لا الرواية مع أن الرواية تربعت على عرش قائمة الأعمال الأدبية الأكثر انتشاراً في العقود الأخيرة، ولكن الشعر عاد ليزيحها ويسترد مكانته التي هجرها إلى فترة من الزمن.

ولكن السؤال الأساس: هل كانت عودته بالقوة التي يجب أن تكون عليها، ولماذا عاد وكيف عاد، وإلى متى يستمر في زهوه هذا، هي أسئلة تطرح في حضرة اليوم العالمي للشعر؟ وعلينا تلمس بعض النور الذي يقودنا إلى أدغال وحدائق الشعر في هذه الأيام، وبهذا المعنى من الممكن القول: إن عودة الشعر بمفهومه الحقيقي لما تتم بعد، ولكنه استعاد سطوة وجمال الدروب إليه، التجارب التي لم تتخذ بعد شكل النضج أو تكون علامات فارقة، فثمة ركام هائل يحدث ويزداد الآن في الطريق إلى حقل الشعر، بعضها استطاع أن يحفر خطوات ويمضي إلى أخرى، وبعضها أو جلها الآخر لما يغادر مكانه، وربما يطرح ،حد ما السؤال العادي والضروري: كيف تقول:إنه زمن الشعر وعلام بنيت هذا القول؟

بالتأكيد سؤال محق، والإجابة تقتضي أن نقول إنها عودة قسرية فرضتها ثورة الاتصالات، فرضها عالم افتراضي هو الانترنت وما فرعه من صفحات ومواقع لا تتسع للرواية الطويلة، ولا الحكايات، إنما جدرانه التي هي في معظمها صفحات شخصية، ومن ثم مواقع وصحف إلكترونية، هي سوق عكاظ الجديد، ومربد الشعر، فما من صفحة من صفحات التواصل الاجتماعي إلا وتجد على جدرانها عشرات النصوص، بغض النظر عن سويتها ونضجها ولكنها محاولات بعضها وصل إلى تحقيق إنجازات كما أسلفنا، وبعضها الآخر يتلمس الطريق.

نعم، العودة لمربع الشعر فرضتها التقنيات الحديثة التي أبعدت الرواية في عصر اللمحة والنظرة والنص السريع كما لو أنه برقية، وربما يتناسب هذا مع القصيدة الومضة، وبالتالي صار الجوال والحاسوب الديوان المفتوح والنص الذي لايترك أثراً كبيراً، وللأمر محاسنه ومساوئه الكثيرة، فلم يعد بإمكان المتابع أن يعرف هل هذا النص ملطوش، أم إنه خارج من أتون الموهبة الشعرية، وصار التراكم السريع مقبرة للشعراء وتجاربهم، ويمكن حذفه برفة عين، وبالتالي لايمكن الركون إليه على أنه علامة من علامات النضج والتطور.

هكذا فرض إيقاع الحياة السريع عودة الشعر إلى مكانته ولو وهمياً وعودة يجب فعل الكثير حتى تصبح حقيقيةً واقعة فهل يطول العمل؟ ربما الأمر يحتاج إلى وقت طويل، لكنها العودة إلى زمن الشعر، ومن هذه العودة الميمونة يمكن أن نقول إنه اللاشعر في زمن الشعر فكيف يستقيم الأمر؟

اللاشعر

لاينكر أحد ما أن كتاب أدونيس زمن الشعر يعتبر إيقونة نقدية حقيقية صالحة لزمن جديد، مع أن الكتاب مقالان نقدية نشرت في صحف ومجلات آنذاك لكنها جديدة كل الجدة حتى الآن، وبالاتكاء على زمن الشعر لأدونيس يمكن الاقتباس تكشف عن بعض جوهر الشعر يقول أدونيس في زمن الشعر ص ١٤٥: أنت شاعر «إذن أنت تعرف أن القصيدة التي تنقل دلالات مباشرة القصيدة الوحيدة اللون الخيط الواحد وليست شعراً، هكذا تثقل شعرك بالأبعاد فالقصيدة عندك شبكة، وهي متلالئة وثقيلة كالذبيحة، اطرح الأسئلة إنها قوتك، شعرنا القديم يتكلم على العالم: شعرنا الجديد يتكلم العالم، ويضيف في الصفحة ١٥٠ قائلاً:أنت شاعر ليس لأنك تعبر بصدق عن تجربتك، بل لأنك تعبر عن مجموعة التجارب المشتركة والمتوارثة ويقل حظك من الشعر بقدر ما تعمق تجربتك وتتفرد، وربما سماك وقتئذ أصحاب هذا الذوق مجنوناً، أو شاذاً إذا أرادوا أن يتلطفوا، وما أكثر ما يعبر عنهم قول أندريه جيد (ينهون حياتهم دون أن يعانوا شعوراً صادقاً حياً يتخيلون أنهم يحبون ويتألمون إن موتهم ذاته تقليد).

هذا المناخ الذي يضعه أدونيس للتجربة الشعرية يرفض التجربة الجماعية والتقليد، التجربة الأساس للإبداع، الذات المتقدة المتوهجة كما عند مدرسة الإبداع، الألم مصدر التفرد والتوهج، القدرة على رسم ملاح درب لك وحدك كشاعر هي التي تعطيك هويتك بصمتك قدرتك على أن تكون علامة فارقة في الطريق إلى منارات الشعر، ولنا أن نسأل: هل من محيط صاخب بالألم والمعاناة الجماعية والفردية وغموض اللحظة الراهنة والمستقبل، أكثر مما تمر به هذه الأوطان، أليس العذاب الفردي والمصير المؤلم والمجهول قاسماً عاماً ومن ثم التفاصيل الصغيرة الأخرى، فلماذا لم تتقد التجارب الشعرية، أين القدرة على الإنجاز الحقيقي، السؤال يطرح أسئلة تتكاثر كما لو أنها خلايا: سبع سنوات من مخاضات الألم والموت والدمار، ولا تجربة شعرية تتخذ مدارها، أحقاً، لماذا هذا التشابه في اللاشعر بين الجميع، هل فقدت الروح الشاعرة القدرة على التحسس والالتقاط ؟

نفهم أن الرواية تحتاج زمناً من النضج والتأمل ولكن ماذا عن الشعر اليوم وقد استعاد مكانة ما، استعادها بفضل التطور الحاصل، فهل يستطيع أن يحافظ عليها ويكون جديراً بها ؟

ما نراه الآن أنه زمن اللاشعر في زمن الشعر، زمن الشعر بما توفر له وما يفتق ما اختبأ وتخمر ولكن على ما يبدو أن ثمة يباساً كبيراً وتموتاً قد حصل فمتى تخضل الجذور ويعود الشعر قنديلاً أخضر؟

صفحات من تاريخ الأدب الروسي

علم عبد اللطيف

كتب كثيرون عن ظاهرة القراءة عند الروس.. نقول ظاهرة لأنها فعل جمعي.. يقول متابعون.. الناس تقرأ في الشوارع.. وفي الحدائق، وفي أوقات العمل.. وفي السهرة.. القراءة ليست هواية مقتصرة على المثقفين والمهتمين فقط.. الكل يقرأ.. يقرؤون الكتب والمجلات والصحف.. يشترونها من شوارع تعرضها في المكتبات والأكشاك.. ومن الأرصفة.. يتبادلونها إعارة أو هدية..

هل كانت ظاهرة القراءة اللافتة وراء ظهور أجيال من الكتاب والأدباء والمفكرين والسياسيين عند الروس...؟ أم إن أدباء كبار عرفوا بغزارة إنتاجهم وعمقه وتنوعه.. وترجمت أعمالهم إلى كل لغات العالم.. ولاقت رواجاً لا نظير له بين كل أدباء العالم.. هل كان هؤلاء وراء انتشار عادة القراءة التي تحدثنا عنها؟..

في كل الأحوال.. لم تكن القراءة والمتابعة لتتم لو لم يكن ثمة كتب وأدب.. لكن الأمر أصبح يشكل علاقة جدلية بين الكتابة والقراءة.. يحيلان إلى بعضهما ..وتتزايد وتيرة تصاعد كل من الظاهرتين بفعل الأخرى..

الأدب الروسي أحد أغنى آداب العالم.. إسهامه في تاريخ الثقافة الإنسانية متميز وفريد. عكست أعمال مبدعيه التجربة الحياتية للشعب الروسي فلسفته أخلاقه. ونظرته إلى العالم والوجود في الأطوار التاريخية المختلفة. وفي هذا السياق أعطت الأرض الروسية البشرية عدداً كبيراً من عباقرة الأدب الأفذاذ. يكفي أن نشير إلى بعض القمم من عصور مختلفة. والتي يمكن أن يشكل أي منها مدعاة فخر أي أدب وأي أمة...ميخائيل لومونوسوف..الكسندر راديشيف..الكسندر بوشكين..نيكولاي غوغول.. ميخائيل ليرمنتوف.. فيساريون بيلينسكي.. الكسندر هيرتسن ايفان تورغنيف..نيكولاي نيكراسوف.. فيودور دوستويفسكي..ليف تولستوي..انطون تشيخوف.. الكسندر بلوك.. مطسيم غوركي. ايفان بونين.. بوريس باسترناك.. يفغيني زامياتين.. فلاديمير نابوكوف.. ميخائيل شولوخوف.. آنا اخماتوفا الكسندر سولجنستين..ياسينين.. والأدباء الروس لم يكونوا ظاهرة عابرة.. في فترة أو مرحلة زمنية معينة.. فقد امتد حضورهم عقوداً طويلة.. كانت الحالة السياسية والثقافية والفكرية تتطور وتتصاعد. ولم تكن ذات طابع واحد بحيث يعزى إلى الخطاب العام في الدولة أو الأمة الفضل في بروزهم.

الأدب الروسي ظهر في عصور مختلفة أخرى.. ما قبل عصر انتشار الكتب وترجمتها.. ويجدر أن نقدم لمحة موجزة عن تاريخ الكتابة في روسيا وتطورها، ونشير إلى مسألتين بهذا الصدد، الأولى هي استباقية المبادرة في الكتابة والإبداع في روسيا زمنياً مقارنة ببقية البلدان الأوربية، الثاني هي الثورة التي أحدثتها إجراءات القيصر بطرس الأكبر في روسيا.. التي أطلق فيها المجال للثقافة والفن والأدب في خطوة أراد منها منافسة الغرب ذاته.

الأدب في التاريخ الروسي القديم كان شيئاً مختلفاً عما يدعى أدبا اليوم، فلم يكن قصاً فنياً أو حتى شعراً خالصاً، فقد تعامل مع وقائع الحياة في مرحلة مبكرة من تاريخ روسيا، سمي (تاريخ الأحداث)، وهو أحد الأجناس الأدبية المبكرة التي قامت على إنجازات المؤرخين البيزنطيين، لذلك كان وقائعي الطابع، وإن قام على بعض الخيال الفني، السيرة الدينية تعاملت مع وقائع السيرة الحياتية للكهنة رجالاً ونساءً، وحين تتضمن سيرة حياة القديس بعض العناصر المتخيلة الخارقة، يتم التعامل معها بجدية وليس على سبيل التخييل، مثال، (ملحمة إيغور)..و (رسالة توسل دانيال المنفي).

وتاريخياً نشأ الأدب الروسي القديم انطلاقاً من عمل قام به الأخوان (قسطنطين-كيزيل ٨٢٦م)، قدما من سالونيكي، وابتكرا لغة كنسية من اللهجة المحكية، لهجة السلاف في سالونيكي، ثم تلقى الروس من الغرب والجنوب أعمالاً من جنس الأدب الشعبي، قصصاً حول حياة الآباء المبشرين، ومنها سيرة حياة (يوحنا ملالاس فم الذهب)، الكاتب السوري البليغ في القرن السادس، إلا أن كاتب السير الأكثر أهمية في الأدب الروسي القديم هو (نسطور الراهب)، كتب قراءة في حياة ومقتل الشهيدين (بوريس..و.. وغليب).

في القرن الثامن عشر، ظهرت نماذج الأدب الكلاسيكية والتنوير في روسيا، بفضل (انتيوخ كانتمير..) و(ترديكوفسكي)، وهما الأقدم زمنياً في تاريخ الأدب الروسي في القرن الثامن عشر، وأحدثا ما يشبه القطيعة الجذرية مع التقاليد القروسطية، كما فعل القيصر بطرس الأكبر في المجال السياسي، وبعد رفض متعاظم لميراث روسيا القروسطي، عاد الكتاب والأدباء إلى الكلاسيكية، وأنتجوا أدباً تعامل مع ما هو عام ومشترك عند كل الشعوب وفي كل الأزمنة، لكن الكتاب الروس أسسوا لأدب حديث بعد عام ١٧٣٠ مستمداً من الكلاسيكية الجديدة الأوربية والواقع الروسي، فطور ترديكو فسكي ولومونوسوف..نظاماً جديداً للكتابة الشعرية، وخلال القرن الثامن عشر ازداد عدد الكتاب، وبرزت ملامح مجتمع أدبي، وبدأت المجلات الأدبية بالظهور، ومعها التجمعات الأدبية غير الرسمية، لكن لم يكن ممكناً ظهور أدب جديد على الشاكلة الأوربية إلا بعد صدور تشريعات جديدة في مجالي الثقافة والتعليم بمبادرة من القيصر بطرس الأول، وفي باريس تأثر ترديكوفسكي بالنقاشات الجارية حول الرواية أكثر من الشعر، ولم يكن ثمة رواية في روسيا كظاهرة ثقافية، ولم تصبح موجودة إلا في القرن التاسع عشر، وكان مشروع لومونوسوف الشعري الضخم (بطرس الأكبر)..١٧٦١ علامة بارزة وإن لم يكتمل، واقتفى بوشكين خطى لومنوسوف، في أسلوبيته، وبعد سطوع نجم بوشكين تراجعت شعبية لومنوسوف، وبين عامي ١٧٧٠ و ١٧٧٤ تعاون بوبوف وتشولكوف على إصدار أول مجموعة أغانَ روسية (٨٠٠) أغنية أدبية وشعرية. ووسع بوشكين أفقه الإبداعي ليشمل الدراما، وتعتبر قصة (ناظر المحطة) علامة مهمة في القص الروسي، وكتب (تراجيديات قصيرة) و (الضيف الحجري) و(احتفال اثناء الطاعون) و(بنت البستوني)..

إصدارات مفصلية

كتب تشولكوف رواية (الطباخة الجميلة.. مغامرات امرأة فاسقة)، وأصدر نوفيكوف مجلته الانتقادية الجديدة..(الرسام)، وبحث نيكولوف عن أساليب لتجديد فن التراجيديا، واهتم بالمضمون الفلسفي والسياسي لصراعات زمنه، وبعد ذلك تم الانتقال إلى العصر الحديث.. فظهرت (السنتمنتالية) وبواكير الرومانتيكية في روسيا مع قيام الثورة الفرنسية واستمرت مع صعود النابليونية، فصدرت قصة بوشكين الشعرية.(رسلان ولودميلا) متمثلة الرومانتيكية بشكل دقيق، وفي الأدب السنتمنتالي تم النظر إلى أن الإنسان فرد، شخصية مستقلة بذاتها، وبدأت التطورات الحاصلة في الحياة الأدبية الأوربية تؤثر في الحياة الثقافية الروسية في نهاية القرن الثامن عشر، وفي بداية القرن التاسع عشر شهدت روسيا ذروة صعود الرومانتيكية، وامتدت من عام ١٨٢٠ وحتى الحرب العالمية الأولى، مع تركيز قوي على الشعر، مع أن بوشكين تحول من الشعر إلى النثر. وكتب (قصص بيلكين) التي أسست للقصة القصيرة الروسية، وكذلك غوغول وليرمانتوف، وفي سبيل السعي إلى الجمهور نشأ ماسمي (المجلات السميكة)..مكتبة القراءة لمؤسسها أوسيب سنكوفسكي. ثم مجلة بوشكين (المعاصر) و(نداء الوطن). وفرت هذه المجلات زاداً ثقافياً مهما للقراء، وخصوصاً بعد ظهور المواد النقدية فيها، وبعد أن لمع نجم (فيساريون بيلينسكي)، الناقد الأدبي الأبرز في القرن، وبفضله احتل النقد الأدبي الروسي مكانة مهمة في تاريخ الثقافة الروسية، وكانت أول رواية تاريخية في روسيا ١٨٢٩ من كتابة (ميخائيل زاغوسكين) بعنوان (يوري ميلوفسكي)، من واقع النزاع الروسي البولندي، ثم ظهرت روايات لـ (ايفان كلاشينكوف).. (ابنة التاجرجولوبوف) وكانت روايات (ايفان لاجيتشنيكوف) من الروايات الممتازة (البيت الثلجي..و(الكافر) و(حارس ايفان الرهيب). وأصدرت كاتبات عديدات روايات اجتماعية.. الكونتسية (ايفدوكيا روستوبتشينا) كتبت رواية (الرتبة والمال) و(المبارزة).. أيضا(ايلينا فاديفا) كتبت رواية (المثل الأعلى). أما (ناديجدا دوروفا) التي خدمت في سلاح الفرسان، فهي نسيج لوحدها، نشرت في مجلة (المعاصر) مذكراتها، ثم كتبت القصص الفنية والرواية، ثم بزغ نجم (نيكولاي غوغول)، أحد الكتاب الرومانتيين الروس الثلاثة الكبار، حقق أول نجاح له في المجموعة القصصية (أمسيات في مزرعة قرب قرية ديكانكا).. وأنعش غوغول النثر الرومانتيكي بمجموعة أعمال (ميرغورود) و(المفتش العام).. وظهرت أعظم قصصه (المعطف) ١٨٤٢ وأثرت هذه القصة في تطور الأدب الروسي، ثم قصة (تاراس بولبا) و(الأرواح الميتة).. ثم بدأ تورغنيف مشواره الأدبي بالشعر، مقتفيا خطى بوشكين، وكتب (بطل من هذا الزمان).. وقصة (مومو) و(بقعة هادئة)....ووصلت روسيا أدبياً إلى المدرسة الطبيعية بحلول القرن التاسع عشر، ولعب بيلينسكي دور المرشد لكوكبة الكتاب الذي ولجوا ميدان الأدب، وغادر بعدها ١٨٣٩ بيلينسكي موسكو إلى سان بطرسبورغ، وبدأ صرخته .. ليس عندنا أدب.. لكن بدايات أدب، إلى أن ظهر (فيودور دوستيفسكي)١٨٢١-١٨٨١ مبتدئاً بمخطوط (الفقراء) الذي أعلن نيكراسوف بعده عن ولادة عبقري حقيقي، وأخذ المخطوط الى بيلينسكي قائلاً إن غوغول جديداً قد ظهر، وأعلن بيلينسكي بعد قراءته أن كاتباً موهوباً قد ظهر، ليست رواية الفقراء عملاً ذا نكهة حديثة، لكنها تفصح برأي النقاد عن سمات دوستويفسكي كروائي مستقبلي بتركيزه على البيسكيولوجيا الإنسانية، الشخصيات المهزومة والمأزومة، ، ثم ظهرت له رواية (البديل)، وبعدها اتبعها بثلاثيته..(الطفولة-حياة جديدة-سر)، ثم (قلب ضعيف)..واستكمل بقية رواياته بعد نفيه إلى سيبيريا. (ذكريات من بيت الموتى).. ثم (الجريمة والعقاب)، و(الإخوة كارامازوف)..و(الأبله)..و(نيتوتشكا نيزفانكا)..ثم رواية (الشياطين)، وبرز خلال الفترة ذاتها (ميخائيل سالتيكوف)..و(ايفان غونتشاروف)..و(الكسندر هيرتسن)، و(الكسي

بيسيمكي)والشاعر (ياكوف بولنسكي) والشاعر (نيكولاي نيكراسوف)و(ابولون مايكوف)..و(الكسندر اوستروفسكي).. وصولا إلى القرن التاسع عشر وعصر الواقعية. وهي فترة ذروة مجد النثر الروسي، فقد طرح تشيرنشيفسكي مسألة العلاقات الجمالية للفن بالواقع، وبلغت أسماء دوستويفسكي وتولستوي وتورغنيف وليسكوف أوج المجد باداعاتهم خلال ربع قرن.

دراسات نقدية

واكبهم النقاد الكبار تشيرنشيفسكي ودوبروليوبوف وبيساريف وغريغوريف، وتزامن ذلك مع فترة حكم الكسندر الثاني، صاحب الإصلاحات الواسعة وتحرير الأقنان، وكان الأدب الروسي في عصر الواقعية بارزاً ومتميزا برؤيته الخاصة والجديدة للإنسان المتحرر أخلاقياً وفكرياً من ماضيه، وكان تولستوي يتلمس طريقه لإبداع ملحمته التاريخية (الحرب والسلم)، وأتمها في عام ١٨٦٩، ثم كتب (بوليكوشكا)، ثم (آنا كارنينا)، وشهدت الفترة اللاحقة هيمنة شخصية تولستوي الأخلاقية في روسيا.. وطور وجهة نظر سماها (التولستوية) مفادها عدم مقاومة الشر بالعنف، جسد مقولته هذه في روايته(موت ايفان ايليتش)..ثم (اعترافات شبابي)..ثم رواية (الشيطان)، ورواية (البعث)، ورواية (القوزاق). وبعد وصول مشوار (غارشين) القصصي إلى نهايته برز (أنطون تشيكوف ١٨٦٠-١٩٠٤) كاتباً قصصياً ومسرحياً، وكان الأبرز بين الكتاب الروس في زمانه، أربك النقاد بأسلوبه ولغته الساخرة، قال إن هدف الفن الحقيقة غير المشروطة، وإنه يعتمد على القارئ الذي يفترض إنه سيضيف العناصر المفتقدة في القصة، كتب مئات القصص، وبدأ بنشر قصصه تباعاً، وظهر في الآونة نفسها كل من (الكساندر كوبرين) و(ومكسيم غوركي).. الذي نشر في عام ١٩٠٧ روايته(الأم).. وهو اسم مستعار لـ (الكسي بيشكوف)، وصولا إلى قرن منقلب الحداثة، القرن العشرين، الذي أعلنت فيه اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي قراراً يقضي بإشرافها الكامل والشامل على كل ماله صلة بالأدب والفن.

هناك ظاهرة عرفناها في سورية.. هي وجود مكتبات كبيرة في المدن السورية، خاصة دمشق، متخصصة باقتناء وبيع الكتب الروسية، ولا يعزى الأمر لـ (دار التقدم) السوفييتية فقط، في تسويق وترويج الكتاب الروسي، بل إن هذه المكتبات كانت دوماً تؤمن جميع الكتب الروسية ومن فترات مختلفة، بحيث يباع كتاب غوغول مثلاً مع كتب لينين، وروايات جنكيز ايتمانوف مع كتب دوستويفسكي وغوركي. واللافت هو الإقبال الكبير على اقتناء الكتب الروسية بحيث أصبحت تقليداً مهماً عند الشباب، تقاس ثقافتهم بمدى اطلاعهم على الأدب الروسي، ومن لم يقرأ الأدباء الروس فهو مقصر ثقافياً، وما تزال مكتبات البيت، ولدى أجيال عدة، كتب الأدب والفكر الروسية، متميزة عن غيرها بكثرتها وتنوعها.

الأديب بين واقعه وكتابته

غسان كامل ونوس

قد تقرأ لكاتب، لا تعرفه، فتحبّه، وتتابع إصداراته، وتلاحق ما ينشره من كتب ومواد في الدوريّات المختلفة باهتمام؛ أو ربّما لا تُعجب بكتابته، ولا يجذبك منطقه، ولا يدفعك إلى أن تكون متلهّفاً لسماع أخباره، ولا للالتفات إلى نصوصه! وفي أيّ حال، فإنّك تتخيّل شخصيّته؛ من خلال ما قرأت، جدّيّة رصينة حريصة، أو مرحة لعوباً مستهترة، متعالية، أو متواضعة، وتنسج له هيئة رسميّة متأنّقة، أو شعبيّة عفويّة، وترسم ملامح، وتتهيّأ لك مواصفات، وتُتصوّر، أو تُرجى له، خصال، وتُضمر أنّ له في حديثه أسلوباً، يحاكي أسلوب كتابته، ويمتلك لساناً طليقاً أو متكلّفاً، ولغة سلسة، أو عصيّة، وحواراً رشيقاً أو مطوّلاً، وأفكاراً مقبولة ومفهومة، أو غريبة مشوّشة...

ويحدث، بعد حين، يقصر، أو يطول، أن تتعرّف إليه؛ بلقاء مباشر، أو غير مباشر، على انفراد، أو في فعاليّة مع آخرين، وقد تستمع إلى حديثه حضوراً، أو من خلال شاشة ملوّنة؛ فإمّا يتكرّس ما كان له في خاطرك، وتتوافق انطباعاتك، وانفعالاتك المشهديّة الملاحظة، مع ما يشغله لديك من حيّز وحيثيّة ومكانة؛ أو تنعكس الرؤيا، وقد تصدم لهذا، وتراجع حساباتك وتصوّراتك، وقد تعود إلى القراءة مجدّداً، أو تقرأ نتاجه الجديد؛ بشكل مختلف، وانشغال مختلف.. وقد ينتابك تنازع، في ردود أفعالك، ممّا تستنتج من نصوص كاتب تعرفه شخصيّاً، وما تعرفه منه وعنه، وقد يؤثّر هذا على الآثار المترتّبة عن القراءة.

وقد واجهتُ شخصيّاً كتّاباً، وجالستهم، وتحدّثت إليهم، وتداولنا في موضوعات الأدب وسواه؛ وكنت قد تعاملت مع ما وقع بين يديّ من نتاجهم، أوّلاً، ثمّ انشغلت بالبحث عن إصداراتهم الأخرى، أو كتاباتهم في الصحف والمجلّات المتنوّعة، وأكاد لا أصدّق أنّ هذا الذي أمامي، هو صاحب ذاك الشعر، أو تلك المجموعة القصصيّة أو تلك الرواية!.

وعلى هذا، فإنّ من الأفضل أن تكون بعيداً عن حيّز الكاتب، أو أن تقدر على إبعاده من ذهنك وتفكيرك، لا أن تسعى إلى معرفته، وتظلّ صورته وكلماته وأفكاره في وعيك ولا وعيك، حين تقرأ له، وتقيّم؛ فهل هذا بمستطاع؟! وإلّا فمن الظلم له ولك ولنصوصه ولردود أفعالك، أن تعرفه؛ فقد تحاسبه على ما تعرف من صفات ومواصفات وتفاصيل عيش ووظيفة.

فمن الأدباء من هو منطو ومرتكن، وعازف عن المشاركة في الخضمّ الحياتيّ المعيشيّ العام، وزاهد عن متع الدنيا المعروفة والمطارَدة، والمتنازَع عليها، ومنصرف عن حكايا الناس وأخبارهم؛ لكنّه ممتع في تناوله حيوات النماذج البشريّة المختلفة، وبارع في تصويره لهيئاتها، وانعكاسات الأحداث على تصرّفاتها، وجذّاب في حواراتها وسِيَرِها؛ وهناك كتّاب مأزومون في حيواتهم الخاصّة، ومكتئبون نفسيّاً، وخجلون في مواجهة الناس؛ لكنّهم يكتبون بروح حيويّة هنيّة، ويعالجون قضايا مهمّة؛ بأسلوب ساخر؛ في الوقت الذي قد يحسّ كاتب، يعيش في بحبوحة، بالناس المعوزين المنكوبين، الذين يعانون، ويضحّون من أجل الحياة الكريمة في أبسط أشكالها، من دون أن يكون هذا متيسّراً لهم؛ ويهتمّ أديب من طبقة الكادحين بمختلف الشرائح البشريّة؛ لكونهم بشراً، لديهم همومهم وقضاياهم المختلفة، مهما كانت مستوياتهم ومسؤوليّاتهم الاجتماعيّة أو الاقتصاديّة أو السياسيّة... ومن الكتّاب من لا تشغلهم، في نصوصهم، أشكال البشر، ولا أنماط ممارساتهم الحياة، وطبيعة علاقاتهم، ولا يدقّقون في ما يلبسون ويأكلون، وكيف يتزوّجون، ويخلّفون، وماذا يرثون؛ بل ينصبّ اهتمامهم على الأفكار الكبرى، والحالات النفسيّة والإنسانيّة، ويتساءلون عبر شخوصهم وتأمّلاتهم وقلقهم، ومحاكماتهم، عن المصدر والكيفيّة والغاية والمآل، والاحتمالات والتكهّنات؛ في المسارات والمفازات، وفي الظروف والأقدار والمبادرات والمهمّات؛ بما هو مختلف ومدعاة للتفكير، وحاثّ على البحث والتحليل والاستنتاج! ولا يمكن، ولا يجوز، أن تحاسبهم على هذا، حتّى إن كان الناس عموماً عنه منفضّين أو لاهين، أو مشغولين؛ كما لا يمكن أن تحاسب أديباً على ما يكتب؛ بالمقارنة مع الواقع، الذي يعاينه، أو يناقشه في أعماله؛ من منطلق الصحّ والخطأ؛ بناء على ما هو قائم، ولا على صدقيّته أو أمانته في المقاربة والنقل؛ إلّا إذا تعلّق الأمر بتوثيق، أو تحقيق، لأمر معاين في الزمان والمكان، ولا يكون للكاتب مسوّغ إبداعيّ، ومغزى فنّيّ من تغييره الوقائع والأحداث.. وقد يلجأ أدباء إلى كائنات حيّة أخرى، معروفة أو متخيّلة، من خارج الجنس العاقل، الذي نخمّن، وتمتلك الحقّ في الحياة والبيئة ومكوّناتها، ولها أحياز وحيثيّات مؤثّرة ومتأثّرة، ويتناولون هذا برؤاهم، وقد يحمّلونها ما يريدون إسقاطه على البشر، أو يناقشون المشكلات والتواشجات، والاختلافات بين الناس عبر افتراضهم كائنات أخرى، وبيئات أخرى مشابهة أو مفارقة؛ فهل تصحّ مساءلتهم على هذا؟! على الرغم من أنّ التاريخ البعيد والقريب، يشير إلى من لم يُرحموا في هذا وسواه؛ مع أنّ التساؤل يُفترض أن يأتي على المرجعيّة والدواعي الفنّيّة، والعناصر الصالحة أو القابلة لحمل ما هو مطلوب أو مفترض، والمنطق الداخليّ في البناء التكوينيّ للنصّ ومفرزاته أو مخرجاته.. ومن الأدباء من يهتمّ بالزمن الماضي السحيق، وما كان ومن كان فيه، أو في الماضي القديم، أو الحاضر، وآخرون ينتهجون التخويض في المستقبل؛ انطلاقاً ممّا كان، وما هو كائن حاليّاً؛ وصولاً تخييليّاً، أو تحذيريّاً أو إرهاصاً وتمنّيات لِما يمكن أن يكون، وقد لا يكون؛ ومن يشهد ذلك الزمن، يرَ!

للأم والمرأة في عيدها

شهناز صبحي فاكوش

نقول لكل نساء العالم في الثامن من آذار الذي اصطفته الأمم من تقويم الزمن ليكون عيداً لهن، انتصاراً لمن ناضلن لأجل حريتهن وإنصافهن.. كل عام وأنتن بألف خير، وألف تحية وقبلة على وجنات نساء وطني اللاتي صمدن ودافعن عن سورية وقدمن فلذات أكبادهن لتظل حرة.

كل حب زرعته نساء الوطن أنبت عطاءً بسخاء، فهي التاء المنطوقة والمكتوبة التي غمز البعض ممن أحب أن يهز الورد ليفوح عطره، أو من يغتاظ من النسوة اللائي يتفوقن على الرجال قدرة؛ عندما يكون الأمر متساوياً بينهما.. أنت التاء في نهاية الكلمة فخر لغتنا العربية.

للمحبين والمغتاظين ثقي أنك البداية وعندك النهاية، سر الحياة أنت.. المعطاءة صاحبة القدرة المنتجة.. أنت أساس الكلمة.. ولو عددنا ما يليق بك ما كفتنا الحروف.. أنت تاء الحرية والعقيدة أنت التقية النقية، أنت المَحَبَّةُ في مواجهة الحقد والرعونة، أنت النبتة الخيّرة وأنت سر الحياة.

أنت الروعة التي سكنت كل جميل في الطبيعة.. من تمنح حرارة الود لنحيا.. أنت العدالة المتفوقة على العرف بين الناس.. أنت الشجاعة في مواجهة الجبن.. أنت الحضارة التي بنت عرش البشرية.. أنت الحنية التي تجاوزت بها؛ الحقد الذي يشعل الفتن ويحرق البلاد الآمنة..

أنت الحائكة التي تتقن فن الحياكة فرتقت فتوق النفوس في زمن الحرب.. أنت شمس النور ورمز الإصباح حيث تبدأ النهارات مع شروقها.. أنت تنهيدة القلوب التي تصبو لصفو أيامها.. أنت الهداية للصواب.. والإنسانية المنشودة لتسود العالم.. أنت المعرفة التي دحرت الجهل..

أنت الطاقة التي تمنح العزم للإنسان.. أنت تاء القضية، لولا وجودك ما كان لأصحاب الحق هدف.. أنت الأمومة التي تَمنح ولا تنتظر مقابل.. أنت اللبوة التي تقاتل لأجل حماية أبنائها.. أجل أنت الحماية بكل معانيها.. لأنك الديمومة، سر الوجود مكنون فيك.. وبالتاء المقترنة بك..

أيتها الجليلة بقدرها.. الثقيلة بوزنها.. رفيعة المقام.. المحظية التي أعجزت الأبجدية.. فما استطاعت الوصول لكنهها.. فأسكنتها ولم تجد لها حركة تليق بمقامها.. تركتها لتختار الحركة التي تناسب موضعها حيث تكون.. في سياق ما توصف به فتتحرك عند التقائها بساكن.. لأنها لا ترغب بمشاركة سكونها مع أحد.. لأنها جنة الدنيا.. وأسطورة الخلود منذ بدء التكوين..

أيتها المرأة السورية العظيمة القديرة الجليلة العلية.. الجديرة بالوصف بكل جميل من مفردات اللغة.. افخري أنك بنت سورية السيدة الوحيدة بين بلاد العالمين.. لا يعيبها إن قيل في كنايتها تاء التأنيث الساكنة.. فالرجولة قيمة والقيمة أنثى.. وفي هذا اصطفاءٌ وحدك من تستحقه..

إيفاء وعد!

بيانكا ماضية

على أنغام (طلعنا على الضو، طلعنا على الريح، طلعنا على الشمس، طلعنا على الحرية)، أفي وعدي لصديق أبي الجزائري الذي كتب لي قبل أن أطأ أرض دمشق: سلمي لي على دمشق الياسمين، سلّمي لي على أبواب دمشق.. ويرسل لي أغنية (ياطير سلملي ع سوريّة ع قلب ودعته بأراضيّا، بلادي الحنونة كل ماصليت ادعي لربي يضل حاميًا) ويتابع: كل حبة هواء، كل رصيف وحارة، كل زقاق، كل حبة عراقة في بلاد الياسمين تعرفني. أخبريها أن حبيبك الاستثنائي ورفيقك في كل الحرب يسلّم عليك، وأخبريها أن حبيبك الجزائري قادم ليحتفل معك، سلّمي لي على دمشق، وعلى أسدها الرابض في عرين العروبة والعزة والفخار والكبرياء الدمشقي، الجالس في قمّة العراقة والحضارة والجمال الإلهي السوري...

دمشق تعرفني جيداً، يارفيقة الدرب الطويل، قبّلي أي شي من دمشق، «كرمال الله» أي حجر، أي عراقة، أي شيء. ثم يرسل أغنية داليدا (كلمة حلوة وكلمتين، حلوة يابلدي) نعم يارفيقة، دمشق تعرفني، وبيروت تعرفني..

ويتابع: حين تصلين دمشق احكي مع هوائها، فهو يعرفني، اختاري أي طفل دمشقي، اهديه أي شي حتى لو كان حبة حلوى، بالله عليك أرجوك ألا تنسي... سلي أحجارها، سلي أزقتها، سلي الحارات فيها، سلي المسنين، العجائز، سلي أطفال الحرب، سلي نواعير حماة، وقلعة حلب، وكنائس حمص، سلي حارات دمشق، جبل قاسيون، دروب حلب.. ثم يرسل أغنية (يامايلة ع الغصون عيني سمرا سابقتينا يحرق قلبيه الهوا شو عمل فينا)..

وصلت دمشق ووفيت بوعدي له، اشتريت من شوكولا حلب وقدّمت لأول طفل رأيته قطعة منها، طفل آت ليشتري سندويشة فلافل من أحد المحال الدمشقية، نظر إلى الكاميرا وتمّ التقاط الصورة لي معه بيد شاب دمشقي، وأرسلت الصورة لصديق أبي الجزائري، فعلّق قائلاً:

هذا هو الطفل وتلك عيناه التي تختصر كل ألم سورية وكل ماجرى فيها من مأساة، هذه عيون البراءة التي اختزلت الحرمان والبؤس، تلك هي العيون التي كنت أريد أن تدخلي إليها الفرحة أو بسمة عابرة، وشيئاً من السرور. نعم تلك هي العيون التي كنت أريد أن أراها، أن أستأنس بها، تلك عيون الطفل الدمشقي التي اختزلت الغربة والأمل والصمود، التي خبأت دفاتر الألم وقصص الحرب، التي رسمت وقالت وتحدّت وأبت إلا أن تحكي للتاريخ رواية أسطورة اسمها دمشق، تلك عيون الطفل الدمشقي التي آلت إلا أن تقول للعالم: أيها الحمقى هنا عاصمة التاريخ، يا حمقى هنا مهد العراقة، هنا تربّت الحضارة يا حمقى، إنها دمشق عرابة أول حرف وأبجدية، يا حمقى إنها مدينة المسيح، فماذا تقترفون، وماذا تفعلون؟ تلك عيون الطفل الدمشقي التي تقول بكل مافيها من أسى، ومافيها من حزن، ومافيها من لوعة، ماذا فعلتم يا حمقى؟ ماذا فعلتم يا قتلة؟ ماذا فعلتم أيها المشردون، أيها المجهلون، أيها اللقطاء، أيها المغمورون، أيها المنبطحون، أيها الجبناء أيها المطايا، أيها الحاقدون، أيها الجاهلون، المعقدون، الملعونون، أيها الشياطين، أيها البقايا، أيها المشوهون المسوخون، أيها... ماذا فعلتم؟! ألم تقرؤوا أن الشام سنة كونيّة، أن دمشق معلم روحي، ألم تقرؤوا عن معابدها؟ ألم تقرؤوا عن مساجدها وكنائسها؟ ألم تقرؤوا عن عراقتها، عن أحجارها، ألم تقرؤوا عن معلولا؟ عن حلب؟ ألم تقرؤوا؟ بالله عليكم ما أغباكم! ... أوصدقتم أنه بإمكانكم أن تقتلوا التاريخ، ألم تعلموا أن القيامة تنطلق من دمشق؟! أيها الحمقى ألم تعلموا أن يوم الدين يبدأ من دمشق، ألم تقرؤوا أن سورية شيء أزلي وأبدي ما أغباكم، وما أشد حمقكم وحقدكم!.

بالله عليك أخبري دمشق أن عرسها بات قريباً جداً، وأن التحضير الكوني يتم على قدم وساق، فكما كان الخراب والدمار كونياً سيكون الفرح والانتصار كونياً.

إن بداية النهاية من دمشق، ستغني جارة القمر السيدة فيروز في دمشق، وستحيي آخر حفل في حياتها، ستحتفي بدمشقها التي أحبتها.. نعم إلى كل العالم، إلى كل من أخطأ الحساب وراهن على سحق التاريخ، إلى كل من اعتقد أن بإمكانه طمس هوية البشرية وإعدام صوت ذكريات الطفولة وحكايات المراهقة، وسلخ قصص الأزقة والحارات والنوافذ والعتبات والنوافير والنواعير وقصص الأسواق القديمة، إلى كل من راهن على سلخ رائحة الخبز والكعك من ذاكرة العراقة، هل بالإمكان أن نوقف سنّة كونيّة، هل بإمكاننا أن نمنع تحقق وتجسّد سنّة كونية، إنها السنّة الكونية، إنها إرادة السماء، إنها إرادة ربانية، إرادة إلهية.

إنها دمشق، وجودها، انتصارها، صمودها، شموخها، عطاؤها، صبرها، عبقها، أيها العالم اسمعوا، أيها الحمقى اسمعوا: سورية حكاية لاتنتهي!.

أيتها الطبيعة

ياسمين درويش

(١)
أيها الليل لا تكن حزيناً مثلي
بل كن رفيقاً للعشاق
وانثر غيومك المخملية
فوق النجوم اللامعة
لتنام عيون العذال
ويهنأ العشاق

(٢)
أيتها الريح
كوني هادئة مع ورود حديقتي
إياك اقتلاعها بحجة أشواكها

(٣)
أيتها الشمس ...اغمري بساتين قريتنا بنورك
وانثري شعاعك الذهبي على زهر أشجار اللوز
فالأطفال يلهون هنا بين التلال
مشتاقين لدفء الربيع البهي

(٤)
أيها البحر الواسع
خبرني بكل صدق
عن حكايات الصيادين
عن وشوشات الموج
عن أحلام البحارة
وعن أحلام العشاق

(٥)
أيها القمر المعلق في سمائي
أراك تلاحق العشاق في خطواتهم
دعهم وشأنهم
أنصت لدقات قلوبهم
وأسأل عنه النجمات

دمشق

هنادة الحصري

وقلت دمشق رف المجد في جنباتها الخضراء
رف الكبر فوق مآذن كالدهر
ينثر فوقها العبقا
وحين تلوت أغنيتي رفعت الغرة الشقرا
فوق جبينها العربي فارتد
المغول وطل من شرفاتها اليرموك
آه دمشق لو تدرين ما بالقلب قد علقت دمشق
نسيت في عينيك مكحلتي
وثوب رفاقي الأبيض علقت
الأغاني فوق سورك والهوى
انسكبا خذيني
يا دمشق لأجل وجهك
أعشق الأيام والعربا

وصرتُ أمّاً

رنا بدري سلوم

نجمةُ صبحٍ أنا
تسامرُ الليلَ
بعينيّ الصحوة
تسدلُ الأمانَ
لتغفو المُقلْ
أثرثرُ حكايا
الظلِّ لطفليّ
يتثاءبان الطيفَ بتعويذةٍ
ألحفُهما
كلما ركلا
كوابيسَ الدهشة
أنِّ وحشاً يتبعُهما
الظلمةُ وحشٌ والبردُ وحشٌ
أضيء أحلاماً خاوية
أطوفُ حولهما
حتى صرتُ شمعة
فَتيلها خيّط الفجرْ
ألهو مع الزُهرة
أتأملُ زُحل
في فلكِ الطفولةِ
أنبتُ زهرة قمرٍ
تشرقُ من عينيّ الهُمام
وتغفو على كفيّ العصام
لأمسي ذراعينْ
من غَمام.